الجواهر الحسان

شرح

مائة المعاني والبيان في علم البلاغة

لابن الشحنة الحنفي

تأليف

إبراهيم الفقيه السريحي

دار النصيحة
المدينة النبوية

منظومة مائة المعاني والبيان لابن الشحنة الحنفي (749 هـ –815 هـ)

المقدّمة

1 الحَمْـــــدُ للهِ وَصَـــــلَّى اللهُ عَلَـــى رَسُـــولِهِ الَّـــذِي اصْـــطَفاهُ

2 مُحَمَّـــــدٍ وآلِـــــهِ وَسَـــــلَّمَا وَبَعْـــدُ قَـــدْ أَحْبَبْـــتُ أَنِّيْ أَنْظِمَـــا

3 فِي عِلْمَـــيِ الْبَيـــانِ وَالْمَعـــانِيْ أُرْجُـــوزَةً لَطِيْفَـــةَ الْمَعـــانِيْ

4 أَبْيَاتُهـــا عَـــنْ مِائَـــةٍ لَمْ تَـــزِدِ فَقُلْـــتُ غَيْـــرَ آمِـــنٍ مِـــنْ حَسَـــدِ

5 فَصَـــاحَةُ الْمُفْـــرَدِ فِيْ سَـــلامَتِهْ مِـــنْ نُفْـــرَةٍ فِيْـــهِ وَمِـــنْ غَرابَتِـــهْ

6 وَكَوْنِـــهِ مُخَـــالِفَ الْقِيـــاسِ ثُمَّ الْفَصـــيحُ مِـــنْ كَـــلامِ النَّـــاسِ

7 مـــا كـــانَ مِـــنْ تَنـــافُرٍ سَـــليمَا وَلَمْ يَكُـــنْ تَأْلِيْفُـــهُ سَـــقِيمَا

8 وَهْـــوَ مِـــنَ التَّعْقِيـــدِ أَيْضـــاً خَـــالِيْ وإِنْ يَكُـــنْ مُطابِقـــاً لِلْحـــالِ

9 فَهْـــوَ الْبَلِيْـــغُ، وَالَّـــذِي يُؤَلِّفُـــهْ وَبِالْفَصـــيحِ مَـــنْ يُعَبِّـــرْ تَصِفُـــهْ

10 وَالصِّـــدْقُ أَنْ يُطَـــابِقَ الْواقِـــعَ مَـــا يَقُولُـــهُ ، وَالْكِـــذْبُ أَنْ ذا يُعْـــدَما

الفنُّ الأولُ: علمُ المعاني

11 وَعَـــرَبِيُّ اللَّفْـــظِ ذُو أَحْـــوَالِ يَـــأْتِيْ بِهـــا مُطَابِقـــا لِلْحـــالِ

12 عِرْفانُهـــا عِلْـــمٌ هُـــوَ الْمَعـــانِيْ مُنْحَصِـــرُ الأَبْـــوابِ فِي ثَمَـــانِ

بابٌ : أحوالُ الإسنادِ الخبريّ

13 إِنْ قَصَـــدَ الْمُخْـــبِرُ نَفْـــسَ الْحُكْـــمِ فَسَـــمِّ ذا فائـــدَةً ، وَسَـــمِّ

14 إِنْ قَصَـــدَ الإِعْـــلامَ بـــالْعِلْمِ بِـــهِ لازِمَهـــا، وَلِلْمَقـــامِ انْتَبِـــهِ

15 إِنِ ابْتِـــدائِيّاً فَـــلا يُؤَكَّـــدُ أَوْ طَلَبِيـــاً فَهْـــوَ فِيْـــهِ يُحْمَـــدُ

16 وَ واجِـــبٌ بِحَسَـــبِ الإِنْكـــارِ وَيَحْسُـــنُ التَّبْـــديلُ بِالأَغْيـــارِ

17 وَالْفِعْـــلُ أَوْ مَعْنـــاهُ إِنْ أَسْـــنَدَهُ لمـــا لَـــهُ فِي ظـــاهِرٍ ذا عِنْـــدَهُ

18 حقيقـــةٌ عَقْلِيَّـــةٌ ، وَإِنْ إِلى غَـــيْرِ مُلابِـــسٍ مَجـــازٌ أُوِّلا

19 الْحَـذْفُ لِلصَّـوْنِ وِ لِلْإِنْكَـارِ ... وَالِاحْـتِرازِ أَوْلِلاخْتِبَـارِ

20 وَالـذِّكْرُ للتَّعْظِـيمِ وَالإِهانَـةِ ... وَالْبَسْـطِ والتَّنْبِيـهِ والْقَرِينَـةِ

21 وَإِنْ بِإِضْـمارٍ يَكُـنْ مُعَرَّفـا ... فَلِلْمَقامـاتِ الـثَّلاثِ فاعْرِفـا

22 وَالأَصْـلُ فِي الْخِطـابِ لِلْمُعَـيَّنِ ... وَالتَّـرْكُ فِيْـهِ لِلْعُمـوم الْبَـيِّنِ

23 وَعَلَمِيَّـةٌ فَلِلإِحْضـارِ ... وَقَصْـدِ تَعْظِـيمٍ أَوِ احْتِقـارِ

24 وَصِـلَةٌ لِلْجَهْـلِ والتَّعْظِـيمِ ... لِلشَّـأْنِ وَالإِيمـاءِ والتَّفْخِـيمِ

25 وَبِإِشـارَةٍ لِـذي فَهْـمٍ بَطِـيْ ... فِي الْقُـرْبِ والْبُعْـدِ أَوِ التَّوسُّـطِ

26 وَ أَلْ لِعَهْـدٍ أَوْ حَقيقَـةٍ وَقَـدْ ... تُفِيـدُ الِاسْـتِغْراقَ أَوْ لِمـا انْفَـرَدْ

27 وَبِإِضـافَةٍ فَلِاخْتِصـارِ ... نَعَـمْ وَلِلـذَّمِّ أَوِ احْتِقـارِ

28 وَإِنْ مُنَكَّـراً فَلِلتَّحْقِـيرِ ... وَالضِّـدِّ وَالإِفْـرادِ والتَّكْثِـيرِ

29 وَضِـدِّهِ ، وَالْوَصْـفُ للتَّبْيِـينِ ... وَالْمَـدْحِ والتَّخْصِـيصِ والتَّعْمِـينِ

30 وكَوْنُـهُ مُؤَكَّـداً فَيَحْصُـلُ ... لِـدَفْعِ وَهْـمٍ كَوْنِـهِ لا يَشْـمَلُ

31 والسَّـهْوِ والتَّجَـوُّزِ الْمُبـاحِ ... ثُمَّ بَيانُـهُ فلِلإِيضـاحِ

32 بِاسْـمٍ بِـهِ يَخْـتَصُّ ، وَالإِبْـدال ... يَزِيـدُ تَقْرِيـراً لِمـا يُقَـالُ

33 وَالْعَطْـفُ : تفصِـيلٌ مـعَ اقْـترابِ ... أَوْ رَدُّ سـامعٍ إلى الصَّـوابِ

34 والفَصْـلُ للتَّخْصِـيصِ ، والتَّقْـديمُ ... فلاهْتمـامٍ يَحْصُـلُ التَّقْسِـيمُ

35 كالأَصْـلِ ، والتَّمْكِـينِ والتَّعَجُّـلِ ... وَقَـدْ يُفِيـدُ الاخْتصـاصَ إِنْ وَلِيْ

36 نَفْيـاً ، وَقَـدْ على خِلافِ الظَّاهِرِ ... يَـأْتِي كَـالأَوْلَى وَالْتِفـاتٍ دائِـرِ

الباب الثالث : أحوالُ المُسْنَدِ

37 لِمَـا مَضَـى التَّـرْكُ مـعَ الْقَرينـةْ والـــذِّكْرُ أوْ يُفيـــدُنا تَعْيينـــهْ

38 وَكَونُـــهُ فِعْـــلاً فَللتَّقَيُّـــدِ بالوَقْـــتِ مـــعْ إفـــادَةِ التَّجَـــدُّدِ

39 وَاسْمـــاً فَلِانْعِـــدامِ ذا ومُفْـــرَدَا لأنَّ نَفْـــسَ الحُكْـــمِ فيـــهِ قُصِـــدَا

40 والفِعْـــلُ بـــالمَفْعُولِ إنْ تَقَيَّـــدَا وَنَحْـــــوِهِ فَلِيُفيـــــدَ زائـــــدَا

41 وَتَرْكُـــهُ لِمـــانِعٍ منْـــهُ وَإنْ بالشَّـرْطِ باعْتبـارِ مـا يَجـيءُ مِـنْ

42 أداتِـهِ، والجَـزْمُ أصْـلٌ في (إذا) لا (إنْ) وَ(لَـوْ) ولا لـذاكَ مَنْـعُ ذا

43 وَالوَصْـفُ والتَّعْريـفُ والتَّـأخيرُ وَعَكْسُـــهُ يُعْـــرَفُ والتَّنْكـــيرُ

الباب الرابع : أحوال متعلقات الفعل

44 ثُمَّ مـعَ الْمفعـولِ حـالُ الفِـعْلِ كحالِـهِ مـعْ فاعـلٍ مِـنْ أجْـلِ

45 تَلَـبُّسٍ لا كَـوْنِ ذاكَ قـدْ جَـرَى وَإنْ يُـرَدْ إنْ لم يكُـنْ قـدْ ذُكِـرَا

46 النَّفْـيُ مُطْلَقـاً أوِ الْإثْبـاتُ لـهْ فـــذاكَ مِثْـــلُ لازمٍ في الْمَنْزلـــهْ

47 مِـنْ غَـيْرِ تقْـديرٍ وَإلا لَزِمَـا وَالحَـذْفُ للْبَيـانِ فيمـا أُبْهِمَـا

48 أوْ لِمَجِـيءِ الـذِّكرِ أوْ لِـرَدِّ تَوَهُّمِالسَّـامِعِ غَـيرَ الْقَصْـدِ

49 أوْ هُـوَ للتَّعْمـيمِ أوْ لِلْفاصِـلهْ أوْ هُـوَ لِاسْـتِهْجانِكَ الْمُقابَلـهْ

50 وَقَـدِّمِ الْمَفْعُـولَ أوْ شَـبيهَهُ ردَّاً علـى مَـنْ لم يُصِـبْ تَعْيينـهُ

51 وَبَعْضَ مَعْمولٍ على بَعْضٍ كَما إذا اهْتمـامٌ أوْ لِأصْـلٍ عُلِمَـا

الباب الخامس : القصر

52 الْقَصْـرُ نَوْعـانِ: حَقِيقـيٌّ -وَذَا نَوْعـانِ- والثَّـانِيْ: إضـافِيٌّ كَـذَا

53 فَقَصْـرُ صِـفَةٍ علـى الْمَوْصُـوفِ وَعَكْسُـهُ مِـنْ نَوْعِـهِ الْمَعْـروفِ

54 طُرُقُـهُ النَّفْـيُ والِاسْـتِثْنَا هُمَـا وَالْعَطْـفُ والتَّقْـدِيمُ ثُمَّ إنَّمَـا

55 دلالَـةُ التَّقْـديمِ بِـالْفَحْوَى وَمَـا عَـدَاهُ بالْوَضْـعِ ، وَأَيْضـاً مِثْلَمَـا

56 الْقَصْـرُ بَـيْنَ خَـبَرٍ وَالْمُبْتَـدَا يكـونُ بـينَ فاعـلٍ ومـا بَـدَا

57 مِنـهُ فَمَعْلـومٌ وقَـدْ يُنَـزَّلُ مَنزِلَـةَ الْمَجْهـولِ أوْ ذا يُبْـدَلُ

الباب السَّادسُ : الإنشاء

58 يُسْتَدْعَى الِانْشاءُ إذا كانَ طَلَبْ ... ما هُوَ غَيْرُ حاصلٍ ، والْمُنْتَخَبْ

59 فيْهِ التَّمَنِّيْ ولَهُ الْمَوْضوعُ ... لَيْتَ وإنْ لم يكنِ الْوُقوعُ

60 وَ(لَوْ) وَ(هَلْ) مِثْلُ (لَعَلَّ) الدَّاخِلهْ ... فِيْهِ ، وَالِاسْتِفْهامُ وَالْمَوْضوعُ لَهْ

61 (هَلْ)(هَمْزَةٌ)(مَنْ)(ما)وَ(أيٌّ)(أيْنا) ... (كَمْ)(كَيْفَ)(أيَّانَ)(مَتَى)وَ(أَنَّى)

62 فَـ(هَلْ) بِهَا يُطْلَبُ تَصْديقٌ وَما ... (هَمْزاً) عَدَا تَصَوُّرٌ وَهْيَ هُما

63 وَقَدْ لِلاسْتِبْطاءِ والتَّقْريرِ ... وَغيرِ ذا يكونُ والتَّحْقيرِ

64 وَالْأَمْرُ وهْوَ طَلَبُ اسْتِعْلاءْ ... وَقَدْ لِأَنْواعٍ يكونُ جائيْ

65 والنَّهيُ وَهْوَ مِثْلُهُ بِـ: (لا) بَدَا ... وَالشَّرْطُ بَعْدَها يجوزُ، والنِّدا

66 وَقَدْ لِلِاخْتِصاصِ والْإغْراءْ ... تجيءُ ثُمَّ مَوضعَ الْإنْشاءْ

67 قَدْ يَقَعُ الْخَبَرُ للتَّفاؤلِ ... والْحِرْصِ أوْ بِعكْسِ ذا تأمَّلِ

الباب السَّابعُ : الفصل والوصل

68 إنْ نُزِّلَتْ ثانيةٌ مِنْ ماضيهْ ... كنَفْسِها أوْ نُزِّلَتْ كالْعاريهْ

69 فافْصِلْ ، و إنْ تَوَسُّطٌ فالْوَصْلُ ... بِجَامِعٍ أرْجَحُ ، ثمَّ الْفَصْلُ

70 بما لِحالٍ أصْلُها قَدْ سَلِما ... أصْلٌ وإنْ مُرَجحٌ تَحَتما

البابُ الثامنُ : الإيجاز والإطناب

71 توفيةُ المرادِ بالنَّاقصِ مِنْ ... لفظٍ له الْإيجازُ والإطنابُ إنْ

72 بزائدٍ عَنْهُ ، وضَرْبا الْأوَّلِ ... قَصْرٌ وحَذْفُ جُمْلةٍ أو جُمَلِ

73 أوْ جُزءِ جملةٍ وما يدُلْ ... عليه أنواعٌ ومِنْها الْعَقْلُ

74 وجاءَ للتَّوْشيعِ بالتَّفْصيلِ ... ثانٍ والِاعْتراضِ والتَّذْييلِ

الفنُّ الثاني : علمُ البيان

75 عِلْـمُ الْبَيـانِ مـا بـهِ يُعَـرَّفُ ... إيـرادُ مـا طُرُقُـهُ تَخْتَلِـفُ

76 في كَوْنِهـا واضـحةَ الدِّلالـهْ ... فمـا بـه لازمُ مـا وُضِـعَ لـهْ

77 إمـا مجـازٌ مِنْـهُ الِاسْـتِعارةُ ... تُبْـنَى علـى التَّشْـبيهِ أوْ كنايـةُ

78 وَطَرَفـا التَّشْـبيهِ حِسِّـيَّانِ ... – ولـو خياليـا – وعَقْلِيَّـانِ

79 وَمِنْـهُ بِـالْوَهْمِ وَبِالْوِجْـدانِ ... أوْ فيهِمـا يختلـفُ الْجُـزْآنِ

80 وَوَجْهُـهُ مـا اشْـتَرَكا فِيْـهِ وَجـا ... ذا في حَقيقَتَيْهِمـا وخارِجـا

81 وَصْـفاً فَحِسِّـيٌّ وَعَقْلِـيٌّ، وَذا ... واحِـداً اوْ في حُكْمِـهِ أوْ لا كَـذا

82 والْكـافُ أوْ كـأنَّ أوْ كَمِثْـلِ ... أداتُـهُ وَقَـدْ بِـذِكْرِ الْفِعْـلِ

83 وَغَـرَضٌ مِنْـهُ علـى مُشَـبَّهِ ... يَعُـودُ أوْ علـى مَشَـبَّهٍ بِـهِ

84 فَباعْتِبـارِ كُـلِّ رُكْـنٍ اقْسِـمِ ... أنْواعَـهُ ، ثُمَّ الْمجـازُ فـافْهَمِ

85 مُفْـرَداً اوْ مُرَكَّبـاً وتـارهْ ... يكـونُ مُرْسَـلاً أوِ اسْـتعارهْ

86 يَجْعَـلُ ذا ذاكَ ادِّعـاءً أوَّلـهْ ... وَهْـيَ إنِ اسْـمُ جِـنْسٍ اسْـتُعِيرَ لَـهْ

87 أصْـلِيَّةٌ أوْ لا فَتابِعِيَّـهْ ... وإنْ تَكُـنْ ضِـدّاً تَهَكُّمِيَّـهْ

88 و مـا بِـهِ لازمُ مَعْـنىً وَهْـوَ لا ... مُمْتَنِعـاً كِنايـةٌ فاقْسِـمْ إلى

89 إرادةِ النِّسْـبَةِ أوْ نَفْـسِ الصِّـفَهْ ... أو غـيرِ هـذَيْنِ اجْتَهِـدْ أنْ تَعْرِفَـهْ

الفنُّ الثالثُ : علمُ البديع

90 عِلْـمُ البـديعِ وَهْـوَ تَحْسينُ الْكـلامْ ... بَعْـدَ رِعايـةِ الْوُضـوحِ والْمَقـامْ

91 ضَـرْبانِ : لَفْظـيٌّ كَتَجْنِـيسٍ وَرَدّْ ... وَسَـجْعٍ اَوْ قَلْـبٍ وَتَشْـريعٍ وَرَدْ

92 والْمَعْنَـوِيُّ وَهْـوَ كَالتَّسْـهيمِ ... و الْجَمْـعِ والتَّفريـقِ والتَّقْسـيمِ

93 والْقَـوْلِ بِـالْمُوجَبِ وَالتَّجْريـدِ ... والْجَـدِّ والطِّبَـاقِ والتَّأْكِيـدِ

94 والعَكْـسِ والرُّجُـوعِ والْإيْهـامِ ... و اللَّـفِّ والنَّشْـرِ والِاسْـتِخْدامِ

95 والسَّـوْقِ والتَّوْجِيـهِ والتَّوْفيـقِ ... و الْبَحْـثِ والتَّعليـلِ والتَّعْلِيـقِ

خاتمةٌ في السَّرقاتِ الشِّعْريَّة

96 السَّـــرِقاتُ ظـــاهِرٌ فالنَّسْـــخُ يُـــذَمُّ لا إنِ اسْـــتُطِيعَ الْمَسْـــخُ

97 والسَّـــلْخُ مِثْلُـــهُ ، وَغَيْـــرُ ظـــاهِرِ كَوَضْـــعِ مَعْـــنىً في مكـــانِ آخَـــرِ

98 أوْ يَتَشـــابَهانِ أوْ ذا أشْمَـــلُ ومِنْـــهُ قَلْـــبٌ ، واقْتِبـــاسٌ يُنْقَـــلُ

99 وَمِنْـــهُ تضْـــمينٌ وتَلْمـــيحٌ وَحَـــلّ ومِنْـــهُ عَقْـــدٌ والتَّـــأنُّقُ انْ تَسَـــلْ

100 براعـــةُ اسْـــتِهلالٍ انْتِقـــالُ حُسْـــنُ الْخِتـــامِ وانْتَهَـــى الْمَقـــالُ

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن اتّبع هداه، وبعد:

فهذا شرح لمتن: "مائة المعاني والبيان" لابن الشحنة الحنفي -رحمه الله-, وضعته للمبتدئين في هذا الفنِّ الجليل، حاولت الابتعاد فيه عن التَّطويل مكتفياً قدر الاستطاعة برأي واحد فقط في شرح النَّظم؛ لأنَّ هذا هو المناسب للمبتدئ، وكذا حاولت قدر الإمكان البعد عن إيراد الإشكالات على المؤلف إلا ما دعتني الضرورة إليه، وحرصت على الأمثلة القرآنية؛ لأنَّ الغاية من هذا العلم إنَّما هي: "**إدراك إعجاز القرآن**" كما نص عليه السيوطيّ في شرح عقود الجمان ، ونبَّه عليه الشيخ عبد الرحمن الأخضري في مقدمة منظومته الجوهر المكنون عندما قال- ونعم ما قال :-

أمدَّ أربابَ النُّهى ورَسَما
شمسَ البيان في صدورِ العُلَمَا
فأبصَروا معجزةَ القرآنِ
واضحةً بِسَاطِعِ البُرهانِ

ثم أشار إلى غاية أخرى أعظم عندما قال:

ثمَّ صلاةُ اللهِ ما تَرَنَّمَا
حادٍ يسوقُ العِيسَ في أرضِ الْحِمَى
على نبيٍ اصطفاهُ الهادي
أجلِّ كلِّ ناطِقٍ بالضَّادِ

...

ما عكفَ القلبُ على القرآنِ

فهذه إشارة منه – رحمه الله – إلى أن هذا العلم يؤدي بمن رسخ فيه إلى عكوف ولزوم قلبه على القرآن بحيث يزهد فيما سواه ويرتقي – وهو في حالة العكوف هذه – في معرفة المتكلم بالقرآن –سبحانه وتعالى–، ولولا خشية الإطالة لامتد بنا في هذا المقام الكلام، و قد سميت الشرح : " التبيان لمتن مائة المعاني والبيان"، أسأل الرب الكريم برحمته التي وسعت كل شيء أن يجعله عوناً لي ولإخواني على تدبر آياته، والتلذذ بمناجاته.

وقبل الشروع في شرح المنظومة لا بد من الكلام على ثلاثة أمور متعلقة بالمتن المشروح:

الأول: عنوان المتن.

الثاني: مؤلف المتن.

الثالث: محتويات المتن.

الرابع : قيمة المتن.

أما **عنوان المتن** فهو: (مائة المعاني والبيان)؛ فـ(مائة) إشارة إلى عدد أبيات هذه المنظومة, و(المعاني والبيان) هما أهم علمين من علوم البلاغة الثلاثة التي سيأتي الحديث عنها بعد قليل, ولهذه المنظومة عدة أسماء، لكن هذا الاسم هو الذي رجّحهُ الباحث : سليمان عميرات في رسالته القيمة " درر الفرائد المستحسنة في منظومة ابن الشحنة لابن عبد الحق العمري (ت نحو: 1024هـ) – دراسةٌ وتحقيقٌ –"[1].

(1)وهي رسالة حصل بها الباحث على درجة الماجستير من جامعة دمشق قبل ستة أشهر – تقريباً– .

وأما **مؤلف المتن** فهو: محب الدين محمد بن محمد المعروف بابن الشِّحنة(749هـ-815هـ) ، وهو فقيه حنفي، له اشتغال بالأدب والتاريخ, انظر ترجمته في الأعلام: (44/7), والشِّحنة - كما في القاموس - هو مَنْ فيه الكِفايةُ لضَبْطِ البلد من جِهَةِ السُّلْطانِ, وفي تاج العروس:"وبنُو الشّحْنَةِ الحَنَفيُّون ، منهم : السريُّ بنُ عبدِ البرِّ وأصولُهُ مَعْرُوفُون ؛ يقالُ إنَّ جدَّهم الكَبيرَ كانَ شحْنَة بحَلَبَ".

وأما **محتويات المتن** فهو يحتوي -إذا استثنيا خطبة المنظومة- على أربعة أقسام:

القسم الأول: مقدمة حول البلاغة والفصاحة وتمتد من البيت: 5 إلى: 10.

القسم الثاني: علم المعاني, ويمتد من البيت: 11 إلى: 74 .

القسم الثالث: علم البيان, ويمتد من البيت: 75 إلى: 89 .

القسم الرابع: علم البديع, ويمتد من البيت: 90 إلى:100.

وأما قيمة المتن فتظهر في كون الناظم رتب مسائلها على الترتيب المعروف عند متأخِّري البلاغيين، وأول من ابتدأ هذا الترتيب الذي استقرَّ عليه معظم البلاغيين المتأخرين هو الخطيب القزويني في كتابه الشهير:"تلخيص المفتاح" ؛ فإذا علمنا أن الخطيب القزويني توفي: (793 هـ) أي: قبل ولادة الناظم بعشر سنوات ترجح أن مائة المعاني والبيان نظمٌ للتلخيص[1]،وهذه العلاقة بين النظم والتلخيص ترفع من قيمته لأن التلخيص يعتبر العمدة في دراسة البلاغة في جانبها النظري.

---

(1) مع وجود احتمال آخر وهو أن يكون مائة المعاني نظماً لتلخيص تلخيص المفتاح –لطيف المعاني- ، ومحل التفصيل في هذه القضية والرد على من نفى العلاقة بين "المائة" و"التلخيص" بحثٌ بدأتُه وأوشكتُ على الانتهاء منه – أسأل الله العون والمدد –، وسأحاول كلما سنحت فرصة أن أنبه في الهامش على التوافق بين المتنين – بإذن الله – .

ومما يدل على قيمتها – أيضاً- كثرة من شرحها ، فقد ذكر الحِبشي في جامع الشروح والحواشي ثلاثة عشر شرحاً للمنظومة، رغم أنه لم يذكر كل الشروح.

ومما يزيد في قيمتها جمعها بين الشمول لأبواب الفن كلها مع اختصارها الذي يغري بحفظها وتدريسها ويسهل مراجعتها.

ولهذا كلِّه أرى أنها المتن الأنسب لدراسة المبتدئ لهذا الفن إذا أراد أن تكون دراسته متينة مؤصلة منضبطة بمصطلحات الفن وتقسيماته.

قال الناظم رحمه الله:

1 الحَمْدُ للهِ وَصَلَّى اللهُ عَلَى رَسُولِهِ الَّذِي اصْطَفَاهُ

2 مُحَمَّدٍ وآلِهِ وَسَلَّمَا وَبَعْدُ قَدْ أَحْبَبْتُ أَنْ أُنَظِّمَا

3 في عِلْمَيِ الْبَيانِ وَالْمَعانِي أُرْجُوزَةً لَطِيْفَةَ الْمَعانِي

4 أَبْيَاتُها عَنْ مِائَةٍ لَمْ تَزِدِ فَقُلْتُ غَيْرَ آمِنٍ مِنْ حَسَدِ

هذه خطبة المنظومة وقد اشتملت على:

1 – الحمدلة. 2- الصلاة على رسول الله – صلى الله عليه وسلم – .

ومحل التوسع في الكلام عليهما كتب الشروح والحواشي فلينظرها من شاء.

3 – غرض الناظم من منظومته؛ حيث بيَّنَ أنَّهُ أحبَّ أن ينظم – بتشديد الظاء للوزن – علمي البيان والمعاني ، والناظر في المنظومة يرى أن المؤلف نظم العلوم الثلاثة – المعاني والبيان والبديع-، لكنه لم يذكر البديع لأنه تتمَّة وذيل عند كثير من البلاغيين، وقد أورد أحد الطلاب النابهين احتمالا لطيفاً حيث قال: لماذا لا يعد الجناس بين (المعاني) في الشطر الأول و(المعاني) في الشطر الثاني مقصوداً من الناظم كي يشير إلى علم البديع بالمثال؟

فيكون قد صرَّح باسم العلمين الأساسيين – المعاني والبيان – وألمح بالمثال إلى الثالث –البديع–؛ ولعلَّ هذا يبين لنا سرّ تقديمه لعلم البيان على المعاني في البيت، والله أعلم.

4 – الإشارة إلى أن منظومته من بحر الرجز ، وهذا ترغيب منه فيها لأن الرجز من أسهل البحور في الحفظ .

5– مدحها بلطافة معانيها، وهذا ترغيب ثان فيها.

6– النص على أن منظومته مائة بيت فقط ، وهذا ترغيب ثالث فيها.

ولما كانت هذه المُرَغِّبَات والمزايا التي أشار إليها النَّاظم – وخاصة كون منظومته لا تتجاوز مائة بيت – نعماً عظيمة ؛ وكان : " كل ذي نعمة محسود" قال معبِّراً عن خوفه على نفسه من الحسد : (فقلت غير آمن من حسد)، نعوذ بالله من شرِّ حاسد إذا حسد .

وبعد أن انتهى الناظم من خطبته ، أتبعها بما يُعد مقدِّمة لعلم البلاغة[1], ومقدمة العلم: تطلق على ما يتوقَّف عليه الشروع في مسائله، بخلاف مقدمة الكتاب: حيث تطلق على طائفة من كلام المؤلف قُدِّمَت أمام المقصود لارتباطٍ له بها وانتفاع بها فيه؛ فما مرَّ من خطبة الناظم مقدمة كتاب، وأما الأبيات من الخامس وحتى العاشر فهي مقدمة علم، وقد انحصر كلام الناظم في هذه المقدمة في ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: الفصاحة وما يتعلَّق بها.

المبحث الثاني: البلاغة وما يتعلَّق بها.

المبحث الثالث: الإشارة إلى تعريف الصدق والكذب.

فقال رحمه الله:

---

(1) أول من أتى بالمقدمة بهذه الصورة – وفي هذا الموضع تحديداً– القزويني في تلخيص المفتاح متأثراً في ذلك – في بعض الجوانب – بابن سنان الخفاجي كتابه :"سر الفصاحة".

5 فَصَاحَةُ الْمُفْرَدِ فِيْ سَلامَتِهْ مِنْ نُفْرَةٍ فِيْهِ وَمِنْ غَرابَتِهْ
6 وَكَوْنِهِ مُخَالِفَ الْقِياسِ ثُمَّ الْفَصيحُ مِنْ كَلامِ النَّاسِ
7 ما كانَ مِنْ تَنافُرٍ سَليمَا وَلَمْ يَكُنْ تَأْلِيْفُهُ سَقِيمَا
8 وَهْوَ مِنَ التَّعْقيدِ أيضاً وإِنْ يَكُنْ مُطابِقاً لِلْحالِ

هذا هو **المبحث الأول حول الفصاحة وما يتعلق بها**, ويندرج كلام المؤلف في هذا المبحث حول ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: شروط فصاحة الكلمة.

المطلب الثاني: شروط فصاحة الكلام.

المطلب الثالث: تعريف فصاحة المتكلم.

أما المطلب الأول –وهو شروط فصاحة الكلمة– فقد عبَّر عنه الناظم بقوله : (فصاحة المفرد) إلى قوله (... القياس)، فبيَّن أنه يشترط لفصاحة الكلمة أن تخلو من ثلاثة أمور:

الأمر الأول: التنافر بين حروفها:

والتنافر: وصف في الكلمة يوجب ثقلها على اللسان وعسر النطق بها, ومثاله كلمة: (الهعخع), وهي كلمة قيل إنها تطلق على المرعى، وقيل غير ذلك.

الأمر الثاني: الغرابة في معناها:

بحيث نحتاج لمعرفة معناها إلى البحث في كتب اللغة المطولة.

ومثاله ما روى أن عيسى بن عمر النحوي سقط عن حمار فاجتمع عليه الناس فقال: "ما لكم **تكأكأتم** عليَّ **تكأكؤكم** على ذي جنة **افرنقعوا** عني"، أي: ما لكم اجتمعتم ؟ تنحوا.

الأمر الثالث: المخالفة للقياس الصرفي:

بمعنى أن تكون مخالفة لقواعد علماء الصرف ولما سمع عن العرب.

ومثاله قول أبي النجم: الحمد لله العلي الأجلل.

لأن القياس الصرفي يقتضي أن يقال: الأجل.

أما المطلب الثاني –وهو شروط فصاحة الكلام– فقد عبر عنه الناظم بقوله: (ثم الفصيح من كلام الناس) إلى قوله (.... خالي), فبين أنه يشترط لفصاحة الكلام أن يخلو من ثلاثة أمور:

الأمر الأول: تنافر الكلمات:

بحيث يكون مجموع الكلام متنافرا ثقيلا في نطقه رغم أن الكلمات المفردة التي كونت ذلك الكلام ليس فيها تنافر, ومثاله:

وقبرُ حربٍ بمكانٍ قَفْرُ[1]

وليسَ قُرْبَ قَبْرِ حربٍ قَبْرُ

فكلمات البيت إذا نظرت إلى كل منها على حدة، ستجد بأنها ليست متنافرة ، لكن باجتماعها حصل التنافر؛ فاختلت فصاحة الكلام.

الأمر الثاني: ضعف التأليف – وعبر عنه الناظم بالسقم للقافية–:

وهو أن يكون الكلام مخالفا للمشهور عند النحاة,و مثاله: " ضرب غلامُه زيداً " حيث عاد الضمير في المثال على متأخر في اللفظ والرتبة[1] وهذا مخالف للمشهور عند النحاة وأجازه بعضهم.

---

(1) كذا بالرفع على أنه نعت مقطوع ، وهو أصح من رواية الجر ليسلم البيت من الإقواء – مستفادٌ من حل العويص في شرح شواهد التلخيص –.

الأمر الثالث: التَّعقيد :

بحيث لا يكون الكلام ظاهر الدّلالة على المعنى المراد مع وضوح كلماته؛ **فمن ذلك** أن يستخدم المتكلم مجازاً أو كناية غير مألوفة في الاستعمال[2]؛ كمن يصف امرأة جميلة فيقول : " رأيت عفريتةً"[3].

أمّا المطلب الثالث –وهو فصاحة المتكلم– فقد أخَّرَ المؤلف الكلام عنه إلى ما بعد الكلام على بلاغة المتكلم, وسأتابعه في هذا التأخير.

ثم قال الناظم رحمه الله:

8 ..... وإِنْ يَكُنْ مُطابِقاً لِلْحالِ

9 فَهْوَ الْبَلِيْغُ، وَالَّذِي يُؤَلِّفُهْ .....

هذا هو **المبحث الثاني من مباحث المقدمة وهو حول البلاغة وما يتعلَّق بها**, ويندرج كلام الناظم في هذا المبحث حول مطلبين:

المطالب الأول: تعريف بلاغة الكلام.

المطلب الثاني: تعريف بلاغة المتكلم.

أما المطلب الأول –وهو تعريف بلاغة الكلام– فقد عبّر عنه الناظم بقوله: (وإن يكن) إلى قوله (فهو البليغ), فقوله: (و إن يكن) أي: الكلام الفصيح (مطابقا للحال) أي: مطابقاً لما يقتضيه الحال (فهو البليغ) أي: فهو الكلام

---

(1) زيداً متأخر في اللفظ لأنه ذُكر متأخراً ، وهو متأخر في الرتبة لأنه مفعول به.

(2) ويسمى التعقيد في هذه الحالة تعقيداً معنوياً.

(3) هذا التعبير معروفٌ عند بعض الأعاجم في وصف المرأة بالجمال، ولو قاله هذا الأعجمي لشخصٍ عربيٍّ فلن يفهم مراده وبالتالي سيكون مخلاً بالفصاحة، وإنما مثلت بهذا المثال لوضوحه للمبتدئ، والله أعلم.

البليغ-, وعلى هذا فبلاغة الكلام هي: مطابقة الكلام لمقتضى الحال مع فصاحته, وسيأتي بإذن الله مزيد بيان للمراد بالحال بعد أسطر.

أما المطلب الثاني -وهو تعريف بلاغة المتكلم- فقد عبر عنه الناظم بقوله (والذي يؤلفه) أي: والذي عنده ملكة تأليف الكلام البليغ يعد متكلِّما بليغا ؛ فلا يكفي المتكلم حتى يوصف بالبلاغة أن يكون كلامه بليغاً مرة أو مرتين أو أكثر، بل لا بد من أن تتكوَّن عنده ملكة – أي صفة راسخة في نفسه – بحيث يستطيع أن يعبِّر عن مراده بكلام بليغ دائماً .

ثم قال رحمه الله:

9 ..... وَبِالْفَصيحِ مَنْ يُعَبِّرْ تَصِفْهُ

هذا هو المطلب الثالث من المطالب المتعلقة بالفصاحة[1] وهو: تعريف فصاحة المتكلم:

وقد أخره الناظم إلى هذا الموضع, ولم أتبين سببا لهذا التأخير، والمقصود بقوله (وبالفصيح...) إلخ أن الذي عنده ملكة التّعبير باللّفظ الفصيح يعدُّ متكلِّما فصيحا، ويقال فيه ما قيل في بلاغة المتكلم.

تنبيه مهم جدا:

الحال: -وشأنه مهم جدا في البلاغة- هو الأمر الداعي إلى التكلم على وجه مخصوص, **فمثلا:** كون المخاطب يواجه خطرا مفاجئا أمر يقتضي ويستدعي أن يختصر له الكلام ويحذف كل ما يمكن حذفه فيقال له: " أسد " ويحذف

(1) فهو امتداد للمبحث الأول من المقدمة، ولعل الناظم أخره لضرورة النظم

" احذر " أو " وراءك " أو غيرها مما يمكن أن يُقَدَّر، وكون المتكلم يريد مدح ملك من الملوك لنيل جائزته ، حال وأمر يستدعي الإطالة في ذكر الصفات الحسنة لذلك الملك ، فإذا جاء الكلام موافقا لما يقتضيه المقام فهو كلام بليغ، ومن هذا يتبيّن أن كون الكلام فصيحا مليئا بالصور البيانية والمحسّنات لا يكفي لوصفه بالبلاغة، بل لا بد من موافقته لمقتضى الحال.

وبهذا يتّضح لنا أن: من أهمِّ المهمَّات لمن أراد أن يعرف بلاغة القرآن، أن يعرف الحال التي نزلت فيها الآيات من أسباب نزول ،ومكي ومدني، بل كلما كان أعرف بالوقت الذي نزلت فيه السورة تحديداً كان ذلك أعون له على إدراك الأسرار البلاغية في الآيات[1].

فعلى سبيل المثال: إذا عرفنا أن سورة البقرة – وخصوصًا خطاب بني إسرائيل في أولها – نزلت في أول الهجرة بينما نزلت سورة الجمعة عام خيبر أو بعدها[2] تبيَّن لنا هذا الفرق الشاسع في الخطاب بين قوله تعالى في البقرة :﴿ يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ وَأَنِّي فَضَّلۡتُكُمۡ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٤٧﴾ ﴾ وبين قوله تعالى في الجمعة: ﴿ مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُواْ ٱلتَّوۡرَىٰةَ ثُمَّ لَمۡ يَحۡمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلۡحِمَارِ يَحۡمِلُ أَسۡفَارَۢاۚ بِئۡسَ مَثَلُ ٱلۡقَوۡمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِۚ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥﴾ ﴾ الجمعة: ٥

---

(1) من الكتب اللطيفة في هذا الشأن :" غرائب الإعجاز والنكات في مقامات أسباب النزول" للدكتور : محمد إبراهيم شادي – طبعته دار اليقين بمصر– ، لكن الأصل في كتابه الاقتصار على ما يتعلق بأسباب النزول دون غيرها من ملابسات، والكتاب مفيد في بابه.

(2) انظر التنبيه على ذلك في تفسير سورة الجمعة من التحرير والتنوير، وهو يرى أنها نزلت عام خيبر تحديداً لكن ما استدل به يدل على ما أثبتُّه في أصل الشرح ، والله أعلم.

وبهذا نعرف – أيضاً– أن الخطيب الذي يسمعه عامة الناس فيأتيهم بالكلمات الفخمة الجزلة التي لا يفهمونها ، والاستعارات والكنايات العربية الفصيحة التي لا يدركون مغزاها، ويأتيهم بسجع لا يدركون منه إلا أصوات الحروف **هو خطيب بعيدٌ كل البعد** عن البلاغة رغم أنه فصيح.

وأخيرا أختم بمثالين توضيحيين لمسألة مطابقة الكلام لمقتضى الحال:

المثال الأول[1]:

أنشد منشد في زفاف قصيدةً آخرُها:

فليت شعريَ والدنيا مفرِّقةٌ

بين الأنامِ وأيامُ الورى دولُ

هل ترجع الدارُ بَعد البُعد آنسةً؟

وهل تعود لنا أيامنا الأُوَلُ؟

ومن الواضح أن المنشد هنا ليس بليغا مع أنه لا خلل في البيت ولا عيب.

المثال الثاني:

قال بعضهم لبشَّار بن برد: إنك لتجيء بالشيء الهجين المتفاوت, قال: وما ذاك؟ قال: بينما أنت تثير النقع وتخلع القلوب إذ تقول:

إذا ما غضِبْنَا غضبةً مُضريةً

(1) هذا المثال مأخوذ من كتاب تيسير البلاغة للشيخ – أحمد قلاش – رحمه الله- .

هتكنا حجابَ الشمسِ أو تُمْطِرَ الدِّمَا

نراك تقول:

ربابة ربة البيتِ

تصب الخلَّ في الزيتِ

لها عشر دجاجاتٍ

وديكٌ حسن الصوتِ

فقال بشار: لكلٍ وجهٌ وموضعٌ؛ فربابة جاريتي لها عشر دجاجات وديك, تجمع لي البيض وأنا لا آكل البيض من السوق, وهذا القول عندها أحسن من: قفا نبك من ذكرى حبيب!

ثم قال الناظم رحمه الله:

10 **وَالصِّدْقُ أَنْ يُطَابِقَ الْواقعَ يَقُولُهُ ، وَالْكِذْبُ أَنْ ذا يُعْدَما**

هذا هو المبحث الثالث من المباحث التي ذكرها الناظم في المقدمة وهو: تعريف الصدق والكذب، وهي مسألة تذكر في معظم كتب البلاغة, والمشهور فيها عندهم-وهو الذي مشى عليه المؤلف- أن صدق الخبر هو: أن يطابق حكمُ ما يقوله المخبرُ الواقعَ, والكذب: أن لا يطابق حكم ما يقوله المخبر الواقع، بغض النظر عن اعتقاد المتكلم؛ وعليه فإذا قال قائل : "سافر زيد " وهو في واقع الأمر لم يسافر فالمتكلم كاذبٌ حتى لو كان يعتقد أنه سافر، وإذا قال قائل : "سافر زيد " وكان في واقع الأمر قد سافر فالمتكلم صادقٌ حتى لو كان يعتقد أنه لم يسافر.

لو قلنا أننا يمكننا وصف الكلام بأنه كذب إن خالف واقع الأمر
لكن لا يوصف القائل بالصدق أو الكذب حتى يتبين حاله هل يعلم الحقيقة أم لا

تنبيه:

يتكلم البلاغيون على هذه المسألة عند الكلام على أبواب علم المعاني وذلك لتعلقها بتعريف الخبر والإنشاء, **ولا يذكرونها في الموضع الذي ذكرها فيه الناظم**, ولم يظهر لي شيء مُقنع في وجه ذكرها في هذا الموضع حتى نبهني بعض الطلاب – جزاه الله خيراً– على أنها يمكن أن تعد من مقدمات العلم فذكرت فيه لذلك ، وهو رأي له وجاهته فيما يبدو لي ، والله أعلم .